المبحث الثاني

مثلما تزايد القمع الاحتلالي عام ٨٧ ارتفع منسوب المقاومة والتحركات الشعبية، ولأن «السياسة جبر لا حساب» تنطوي على عنصر المجهول ثمة زفرات وجيشان تحت السطح، فالبركان يراكم عناصر انفجاره.

(كنا قد أعدنا بناء منظماتنا واستعوضنا خسارتنا جراء الضربة الاعتقالية التي حصدت مئات الأعضاء والكوادر وخمسة قياديين في اللجنة المركزية، محمود الغرباوبي، جبر وشاح، محمود فنون، عدنان منصور، أحمد سعدات، إضافة للاستثنائي خالد باكير، وطاقم من قيادات الصف الثاني.

كانت الضربة كمية ونوعية في غزة وبيت لحم، جرفت معظم المنظمة الحزبية في الأولى، وزهاء النصف في الثانية، أما في القدس فكانت نوعية وفي رام الله محدودة وفي شمال الضفة موجعة. لم يتوقف سيف الاعتقال في العامين التاليين، بل جرى تصفية ثلاثة كوادر في شمال الضفة. ولولا الصمود الكادري والقيادي لأمكن تصور خسائر مضاعفة بما يزكي كلمات المعلق العسكري زئيف شيف (لقد قضينا على الجبهة الشعبية) كاستخلاص متسرع استقاه من جهاز المخابرات الذي خلط تمنياته بالواقع.

كانت قيادة الداخل قد فقدت معظمها، وبقدر أقل قيادات الدوائر والمناطق والكوادر الوظيفية، لكن ما رشح من صمود بطولي خارق بعد جولات من التعذيب التي غيّرت ملامح منصور وهددت حياة فنون، والانتقام منهما بإبعادهما خارج الوطن، وكذا صمود سعدات وعدد من كادرات الصف الثاني والثالث ونشطاء قاعديين، ألهب الحماسة وضخ روح الفخر بما عمّق من الانتماء الجمعي والثقة بالحزب، ولم يستشعر الرفاق والرفيقات حجم الضربة إلا من زاوية اعتقال هذا المسؤول أو تلك المنظمة بما ينتج عن ذلك من تقطعات وفراغات وهموم عمل وهموم عوائل... إذ كانت النظرة رومانسية، بأن الحزب جبل شامخ يقوى على كل الضربات، أما القيادة فهي متفولذة تأبى الانكسار. وهذا من ناحية الجوهر صحيح نسبياً، بل بات هذا الجوهر محط امتحان حقيقي على امتداد عام كامل.

كان السؤال الأكثر إلحاحية:

كيف يمكن الوفاء بمتطلبات العمل القيادي... مرجعيات، متابعات، صلات، توجيهات،